

الظواهر النحوية والصرفية في القراءات الشاذة في تفسيري الكشف والبحر المحيط:
توجيهها وأثرها في المعنى

Syntactic and Morphological Phenomena in Irregular Qur'anic Readings in *Al-Kashshāf* and *Al-Baḥr al-Muḥīṭ*: Their Linguistic Justification and Semantic Impact

نور الفريجة بنت أبو بكر

Nurul Fariyah binti Abu Bakar

Kulliyyah of Usuluddin, Quranic Sciences & Arabic Language, Universiti Islam
Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah (UniSHAMS)
nurulfariyah1115@gmail.com

أستاذ مشارك دكتور عبدالغني بن محمد دين

Prof. Madya Dr. Abdul Ghani Bin Md Din

Department of Arabic Language Studies, Faculty of Usuluddin, Sciences of Al-Quran and
Arabic Language (KUBRA), Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic
University (UniSHAMS)
drghani@unishams.edu.my

دكتور إبراهيم محمد أحمد

Dr. Ebrahim Mohammed Ahmad Eldesoky

Department of Arabic Language Studies, Faculty of Usuluddin, Sciences of Al-Quran and
Arabic Language (KUBRA), Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic
University (UniSHAMS)
drebrahim@unishams.edu.my

Received: 11 May 2026

Revised: 10 June 2026

Accepted: 25 June 2026

*Corresponding Author:

Nurul Fariyah binti Abu Bakar
Kulliyyah of Usuluddin,
Quranic Sciences & Arabic
Language, Universiti Islam
Antarabangsa Sultan Abdul
Halim Mu'adzam Shah
(UniSHAMS)
nurulfariyah1115@gmail.com

يتناول هذا البحث دراسة الظواهر النحوية والصرفية في القراءات الشاذة كما عرضتها كتب التفسير، بهدف الكشف عن أبرز هذه الظواهر، وبيان توجيهها النحوي والصرفي، وإبراز أثرها في توجيه المعنى وإثراء الدلالة القرآنية. وانطلق البحث من أهمية القراءات الشاذة بوصفها مصدراً لغوياً أصيلاً يكشف عن ثراء العربية واتساع أساليبها، مع اتخاذ كتابي الكشف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان ميداناً للدراسة التطبيقية. واعتمد المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل نماذج من القراءات الشاذة وموازنة أوجه توجيهها النحوية والصرفية للكشف عن أثرها في المعنى التفسيري.

وأظهرت الدراسة أن التوجيه النحوي والصرفي يمثلان أساساً في تفسير اختلاف القراءات وبيان وجوهاها اللغوية، وأن الظواهر النحوية، كالاختلاف في التراكيب والحركات الإعرابية والتقديم والتأخير، لا تغتفر أصل المعنى، وإنما تسهم في توضيحه وتأكيده. كما بينت أن الظواهر الصرفية، مثل الاختلافات الاشتقاقية وتنوع صيغ الكلمات وأبنيتها، تؤدي إلى فروق دلالية دقيقة تنعكس في المعنى القرآني وتبرز مرونة النظام الصرفي في العربية. وخلصت الدراسة إلى أن القراءات الشاذة تمثل رصيداً علمياً مهماً في الدراسات النحوية والصرفية والتفسيرية، وتسهم في توسيع آفاق التفسير وإبراز ثراء اللغة العربية، مما يؤكد أهمية العناية بها في الدراسات اللغوية والقرآنية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: القراءات الشاذة، توجيه القراءات، التوجيه النحوي، التوجيه الصرفي، كتب التفسير، أثر المعنى.

Abstract

This study investigates the syntactic and morphological phenomena found in irregular (shādh) Qur'anic readings as presented in Qur'anic exegesis (tafsīr) works. It aims to identify the most prominent of these phenomena, analyze their syntactic and morphological justifications, and examine their impact on guiding meaning and enriching Qur'anic semantics. The study addresses questions concerning the nature of these syntactic and morphological features, the linguistic principles employed by exegetes in explaining them, and their contribution to broadening exegetical interpretation. The research is grounded in the significance of Qur'anic readings as an authentic source of Arabic linguistic evidence and in the scholarly value of irregular readings in revealing the richness and diversity of Arabic linguistic structures. The applied analysis is based on two major exegetical works: *Al-Kashshāf* by al-Zamakhsharī and *Al-Baḥr al-Muḥīṭ* by Abū Ḥayyān. The study adopts a descriptive-analytical approach through the examination of selected irregular readings in these two sources, analyzing their syntactic and morphological features and comparing the exegetes' linguistic justifications in order to reveal their influence on the interpretation of Qur'anic meaning. The study explains the concept and categories of the justification (tawjīh) of Qur'anic readings, demonstrating that syntactic and morphological analysis constitutes the principal framework for interpreting the variation among Qur'anic readings and explaining their linguistic foundations. Such analysis clarifies the grammatical functions of sentence structures, the morphological patterns of words, and their derivational origins, thereby accounting for differences and expansions in meaning. In the applied section, the study examined examples of syntactic phenomena represented by variation in structures through omission or addition, differences in grammatical inflections, and fronting and postponement, demonstrating that these variations in some anomalous readings (qirā'āt shādhah) do not alter the fundamental meaning, but rather contribute to clarifying, emphasizing, or highlighting certain interpretive aspects. The study also explored morphological phenomena represented by derivational variations, differences in nouns in terms of singular, dual, plural, masculine, and feminine forms, as well as variations in word structures through omission or addition. It showed that the diversity of morphological forms and patterns leads to subtle semantic distinctions that enrich the Qur'anic meaning and reveal the flexibility of the Arabic morphological system. The study concludes that irregular Qur'anic readings are not merely alternative linguistic transmissions but constitute a valuable scholarly resource for syntactic, morphological, and exegetical studies. They play a significant role in guiding interpretation, demonstrating the richness of the Arabic language, and broadening exegetical perspectives. Accordingly, the study emphasizes the importance of further examining irregular readings in works of Qur'anic exegesis and benefiting from them in contemporary linguistic and Qur'anic studies.

Keywords:

Irregular Qur'anic Readings (Shādh Readings); Justification of Qur'anic Readings; Syntactic Justification; Morphological Justification; Qur'anic Exegesis; Semantic Interpretation; Meaning Construction.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين وبعد:

فإن القراءات القرآنية تُعدُّ من أهمِّ المصادر التي حفظت ثراء اللغة العربية، وأسهمت في الكشف عن تنوع أساليبها ودقة تراكيبها، وقد حظيت القراءات الشاذة بعناية العلماء؛ لما تشتمل عليه من وجوه نحوية وصرفية تُسهِّم في توجيه المعنى وإثراء الدلالة التفسيرية، على الرغم من عدم الاحتجاج بها في التلاوة. وتبرز أهمية دراستها في كتب التفسير؛ إذ اعتنى المفسرون بتوجيهها وفق أصول العربية، مستندين إلى قواعد النحو والصرف والاشتقاق؛ لبيان ما تحمله من دلالات ومعاني.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في أن القراءات الشاذة، على الرغم من أهميتها اللغوية والتفسيرية، لم تحظَ بدراسة تجمع بين تحليل الظواهر النحوية والصرفية فيها، وبيان أوجه توجيهها في كتب التفسير، والكشف عن أثرها في توجيه المعنى وإثراء الدلالة القرآنية، ولا سيما في كتابي الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان؛ مما استدعى هذه الدراسة لإبراز تلك الظواهر وتحليلها في ضوء التوجيه النحوي والصرفي.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. الكشف عن أبرز الظواهر النحوية والصرفية في القراءات الشاذة الواردة في كتب التفسير.
2. بيان أوجه التوجيه النحوي والصرفي لهذه القراءات، والكشف عن الأسس اللغوية التي اعتمدها المفسرون في توجيهها.
3. إبراز أثر الظواهر النحوية والصرفية في توجيه المعنى وإثراء الدلالة التفسيرية للنص القرآني.

أسئلة البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أبرز الظواهر النحوية والصرفية في القراءات الشاذة الواردة في كتب التفسير؟
2. ما أوجه التوجيه النحوي والصرفي لهذه القراءات، وما الأسس اللغوية التي اعتمدها المفسرون في توجيهها؟
3. ما أثر الظواهر النحوية والصرفية في توجيه المعنى وإثراء الدلالة التفسيرية للنص القرآني؟

وفي ضوء مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته، تتجه هذه الدراسة إلى تناول الظواهر النحوية والصرفية في القراءات الشاذة من خلال دراسة تطبيقية في كتابي الكشف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان، للكشف عن توجيهها وأثرها في المعنى القرآني. وعليه، يبدأ البحث بعرض الإطار النظري للموضوع، ثم ينتقل إلى الجانب التطبيقي لتحليل النماذج المختارة ومناقشة نتائجها في ضوء أهداف الدراسة.

الإطار النظري :

اختلف الناس في القراءة كما اختلفوا في الأحكام ورويت الآثار باختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين وبعض ذلك قريب من بعض¹.

وقد قالوا: "القراءة سنة فافقرهوه كما تجدونه"²، ولذلك ولما كان الأمر كذلك لم يجز لأحدهم أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين. ولذلك قالوا: "ومنهم من يعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار فرما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون بذلك مبتدعا"³.

ولا شك أن للقراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ أهمية كبرى في نواح متعددة منها:

1. القراءات القرآنية، وطرق التلاوة للنص القرآني من أهم الشواهد الحية على نطق العربية الفصحى القديمة". وكثيرا ما يحتاج اللغوي عند وصف صوت من الأصوات، أو ظاهرة صوتية معينة إلى الاستهداء بنطق المجيدين من قراء القرآن. أما باقي المصادر اللغوية فقد وردتنا مكتوبة لا منطوقة، وكثيرا ما أوقعت طريقة الكتابة العربية في التصحيف والتحريف.

2. اشتغال القراءات القرآنية على شواهد لغوية سكتت المعاجم عن ذكرها. وربما كان أظهر مثال لذلك قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: 91]، من الفعل الثلاثي المخفف. ولكن يشيع في لغة العصر الحديث استخدام كلمة: "التقدير" من الفعل المضاعف "قَدَّرَ"، بمعنى عَظَّمَ أو احترم. ونفتش في المعاجم

¹ ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات، شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ، ص 45.

² المصدر السابق، ص 50.

³ المصدر السابق، ص 46.

القديمة عن هذا الاستعمال فلا نجد، وتسعفنا القراءات القرآنية فتمدنا بالشاهد، وهو قراءة الحسن وعيسى الثقفي: "وما قَدَرُوا اللَّهَ"، قال في الكشاف: وقرئ بالتشديد على معنى: وما عَظَّمُوهُ كنه تعظيمه⁴.

3. أنه يمكن اتخاذ القراءات القرآنية مرتكزا لتحقيق التيسير، ودليلا لتصحيح كثير من العبارات والاستعمالات الشائعة الآن، والتي يتحرج المتشددون من استعمالها⁵.

ولعله من المهم هنا في هذا السياق أن أشير إلى أن من أهم كتب التفسير التي سأعتمد عليها في هذه الدراسة كتاب الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان، والسبب في هذا هو معالجة هذين الإمامين الكبيرين رحمهما الله لقضية القراءات الشاذة وكيفية توجيهها.

المبحث الأول: توجيه القراءات

المطلب الأول: تعريف علم التوجيه

التوجيه لغةً

التوجيه هو مصدر الفعل الثلاثي المضَعَّف العين (وَجَّهَ)، وهو مأخوذ من الوجه المعروف، والجمع الوجوه. والوجه في اللغة يطلق على معان متعددة، منها: وجه كل شيء، أي: مستقبله. ويقال: هذا وجه الرأي، أي: هو الرأي نفسه، ووجه الكلام، أي: السبيل الذي تقصده به. أما في علم القوافي عند علماء العروض، فقد ذكر الجوهري أن التوجيه هو: الحرف الذي بين ألف التأسيس وبين القافية، قال: ولك أن تغيره بأي حرف شئت⁶.

التوجيه اصطلاحاً

⁴ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مع الكتاب حاشية الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري، وتخرّيج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ، 142/4.

⁵ أحمد مختار عبد الحميد عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص 21.

⁶ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ، 555/13-559.

قال الجرجاني: "التوجيه: هو إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم، وقيل: عبارة على وجه ينافي كلام الخصم"⁷.

وأما التوجيه عند علماء القراءات فهو علم يقصد منه تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها⁸. فالتوجيه هو جعل الكلام موجّهاً ذا وجه ودليل، إذ يختص ببيان الوجه المقصود من القراءة في اللغة والتفسير⁹.

وقد عرّف الزركشي مصطلح توجيه القراءات في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، وأفرد له نوعاً خاصاً به أسماه "معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ"، فقال: "وهو فنّ جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها"¹⁰.

فتوجيه القراءات القرآنية علم يبحث في المعاني المترتبة على كل قراءة من القراءات، ويبحث في جزالة هذا المعنى وقوته، فيدور مفهومه حول بيان الوجه المقصود من القراءة، أو تلمس الأوجه المحتملة التي يجري عليها التغاير القرآني في مواضعه، سواء كانت هذه الوجوه نقليّة أم عقلية¹¹، والغالب في هذا التوجيه يكون من ناحية اللغة، نحوها، وصرفها، ولهجاتها، وإن كان ثمة توجيهات أخرى تدور حولها، إلا أنّها في الواقع عالية عليه أو ثمرة من ثماره.

المطلب الثاني: أنواع التوجيه

إن وجوه القراءات وعللها متنوعة، فتارة يكون التوجيه فيها نحوياً يتعلّق بإعراب الكلمات، أو صرفياً يتعلّق بوزن الكلمة واشتقاقها، إلى جانب توجيهات أخرى فقهية وبلاغية وغيرها.

⁷ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص 69.

⁸ المهدي، أبو العباس أحمد، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، الرياض: مكتبة الرشد، 1984م، 1/ 18.

⁹ المشهدي، محمد إسماعيل، التجديد في توجيه القراءات القرآنية، مجلة جامعة زاخو، كردستان العراق، المجلد الأول، العدد الثاني، 2013م، ص 259، 260.

¹⁰ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1/ 339.

¹¹ المشهدي، التجديد في توجيه القراءات القرآنية، ص 260.

1. التوجيه النحوي:

وهو اتجاه يهتم بمواقع الكلمات وتغير وظائفها داخل تراكيبها، ومن ذلك ما ظهر في قراءة بعض القراء على اختلاف إعراب الكلمات، فقد اهتم النحاة بالقراءات منذ نشأة النحو، حتى كان من النحاة من هم قراء ابتداء، ولعل اهتمامهم بهذه القراءات وجَّههم إلى الدراسة النحوية واللغوية للملاءمة بين ما رَووا من القراءات، وبين ما سمعوا من كلام العرب¹².

ويرى دكتور سعيد الأفغاني أنه على أهل النحو أن يحتجوا بالقراءات القرآنية على صحة النحو لا العكس، فالقراءات مجال رحب للاستشهاد على القواعد النحوية، بل على تأصيلها لأنَّ سندها الرواية، فكانت بذلك مصدراً للاستشهاد يثري اللغة¹³.

2. التوجيه الصرفي:

وهو اتجاه يهتم ببنية الكلمة ووزنها واشتقاقها، وما يطرأ عليها من تغير في صيغها، لما لذلك من أثر في اختلاف الدلالات والمعاني. ويعد علم الصرف من العلوم اللغوية الضرورية في توجيه القراءات القرآنية¹⁴، إذ يساعد على فهم أوزان الكلمات وأصولها الاشتقاقية، وما قد يترتب على ذلك من اختلاف في المعنى. وقد اعتنى العلماء بهذا الجانب عند تفسيرهم للقراءات وبيان معانيها.

ومن ذلك ما ذكره الزمخشري في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الإسراء: 71]: ومن بدع التفاسير أنَّ الإمام جمع أم، وأنَّ الناس يدعون يوم القيامة بأئمَّاتهم¹⁵، لأنَّ هذا جهل بالتعريف، فأَم لا تجمع على إمام. فبيِّن بذلك أن معرفة الأوزان الصرفية وقواعد الاشتقاق تعد أمراً أساسياً في فهم دلالات الألفاظ القرآنية وتوجيهها توجيهها صحيحاً.

3. التوجيه الفقهي:

¹² تمام حسان، الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة، القاهرة، عالم الكتب، 1420 هـ - 2000 م، ص 97.

¹³ ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة: الخامسة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001 م، ص 9.

¹⁴ أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، الطبعة: الأولى، 1997 م، القاهرة، مكتبة الأدب، ص 29.

¹⁵ الزمخشري، الكشاف، 682/2.

وهو اتجاه يستعين بالقراءات على فقه الأحكام واستباطها، كما يتوسل بالتغاير القرآني إلى القول بالتخيير بين حكمين أو الجمع بينهما، من ذلك مثلاً ما تردد في توجيه قراءتي "وأرجلكم" بفتح اللام وكسرها، من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} [المائدة: 6] فقد بني على هذا التغاير القرآني خلاف الفقهاء حول غسل الأرجل أو مسحها في الوضوء¹⁶.

4. التوجيه المذهبي:

وهو اتجاه يتخذ من بعض القراءات وليجة لإثبات مذهب في العقيدة، أو يوجهها صوب الانتصار له، ومثال ذلك ما تردد في توجيه قراءة "أساء" بالسین المهملة¹⁷ من قوله تعالى: {قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: 156] إذ تعلق بها بعض المعتزلة لإثبات مذمبهم في العدل، وإنفاذ الوعيد، وخلق المرء أفعاله.

5. التوجيه البلاغي:

فهو اتجاه يعنى بالإشارة إلى الوجوه البلاغية المترتبة على تغاير القراءات واختلافها، وتلمس دورها في إثراء بلاغة القرآن بوصفها وجهاً من وجوه إعجازه¹⁸.

يتبين من خلال ما سبق أن علم توجيه القراءات يعد من العلوم الأساسية في الدراسات القرآنية، إذ يعنى ببيان وجوه القراءات والكشف عن أسرارها اللغوية والدلالية، ولا يقتصر دوره على بيان أسباب اختلاف

¹⁶ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص 251، الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين (ت ٥٠٤ هـ)، أحكام القرآن، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ، 40/3.

¹⁷ الزمخشري، الكشاف، 2/165، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، الناشر دار الفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ، 191/5.

¹⁸ أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص 29.

القراءات بل يتجاوز ذلك إلى إبراز انسجامها مع أصول اللغة العربية وإظهار ما تنطوي عليه من دقة في التعبير وثراء في المعاني.

كما أظهرت الدراسة أن توجيه القراءات يتنوع بتنوع الجوانب التي يعالجها، فمنه التوجيه النحوي والصرفي والفقهي والمذهبي والبلاغي، ولكل نوع منها منهجه في بيان وجوه القراءات والكشف عن آثارها العلمية. غير أن التوجيه النحوي والصرفي يمثلان الركيزة الأساسية لهذا البحث، لما لهما من صلة وثيقة بتحليل البنية اللغوية للقراءات والكشف عن وظائف التراكيب، وأبنية الكلمات، وأصولها الاشتقاقية، وما يترتب على ذلك من تنوع الدلالات واتساعها.

وانطلاقاً من ذلك، اعتمد هذا البحث التوجيه النحوي والصرفي إطاراً علمياً لتحليل القراءات الشاذة من خلال الكشف عن وجوهها النحوية والصرفية، وتسويغ ما ورد فيها من أوجه الاختيار بالاستناد إلى شواهد العربية من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي ولهجات العرب. ويكشف هذا المنهج عن ارتباط القراءات الشاذة بأصول العربية وقواعدها، ويبرز ما تتسم به من دقة في البنية وعمق في الدلالة مما يؤكد قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية.

وقال الزركشي في توجيه القراءة الشاذة: "وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة... وقد يستبشع ظاهر الشاذ بادي الرأي فيدفعه التأويل"¹⁹، ويدل ذلك على أن دراسة التوجيه النحوي والصرفي للقراءات الشاذة لا تقتصر على بيان الاختلاف اللفظي، وإنما تمثل منهجاً علمياً يسهم في ترسيخ الفهم النحوي والصرفي واستجلاء الأبعاد اللغوية للقرآن الكريم. ومن ثم، فإن ما عرض في هذا المبحث يمثل الأساس النظري الذي تنطلق منه الدراسة التطبيقية في المبحث التالي حيث سيتم تحليل نماذج من القراءات الشاذة للكشف عن وجوهها النحوية والصرفية، وبيان أثرها في توجيه المعنى، والكشف عن مدى اتصالها بأصول العربية وقواعدها بما يحقق أهداف هذا البحث.

المبحث الثاني: الظواهر النحوية في القراءات الشاذة في كتب التفسير توجيهها وأثرها في المعنى

المطلب الأول: الاختلاف في التركيب بالنقص أو الزيادة

¹⁹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 341/1.

يعدّ الاختلاف في التركيب بالنقص أو الزيادة من مظاهر ثراء المعنى في القراءات القرآنية، ويسهم هذا التنوع في تعميق الفهم التفسيري للنص، ومن الأمثلة على هذه الظواهر ما يلي:

❖ سورة البقرة

1. {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} [البقرة: 127]

قرأ الجمهور: "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا" بينما قرأ أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: "وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا" بزيادة الفعل "وَيَقُولَانِ" فيها²⁰.

ففي قراءة الجمهور هذه الآية تأتي بمعنى: ويقولان ربنا تقبل منا، وذلك لأن "إسماعيل" معطوف على "إبراهيم"، فيكون فاعلاً مشاركاً له في الرفع، ويكون قوله: "ربنا تقبل منا" في محل نصب بإضمار القول، ذلك القول في محل نصب على الحال منهما، أي: يرفعان يقولان: ربنا تقبل، ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود بإظهار فعل القول، قرأ: "يقولان ربنا تقبل"، أي: قائلين ذلك، وهذه القراءة هي إبراز للمعنى وتفسير له، ويجوز ألا يكون هذا القول حالاً بل هو جملة معطوفة على ما قبلها، ويكون هو العامل في "إذ" قبله، والتقدير: يقولان ربنا تقبل إذ يرفعان، أي: وقت رفعهما²¹. وترى الباحثة أن هذه القراءة الشاذة تؤكد اقتران الدعاء برفع القواعد، مما يبرز دورها في توضيح المعنى وتأكيد القيمة الدلالية للقراءات الشاذة في تفسير النص القرآني.

²⁰ أبو حيان، البحر المحیط، 619/1، الزمخشري، الكشاف، 187/1، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المحقق محمد عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، 194/1، ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، الناشر مكتبة المتنبي - القاهرة، ص 17، عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، الناشر دار سعد الدين - القاهرة، 193/1.

²¹ أبو حيان، البحر المحیط، 619/1، الزمخشري، الكشاف، 187/1، ابن جني، المحتسب، 194/1، السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر دار القلم، دمشق، 2/ 114، القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، 2/ 126، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق علي عبد الباري عطية، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، 382/1.

2. {فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: 158]

قرأ الجمهور: "أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا" بغير (لا)، وقرأ أنس وابن عباس وابن سيرين وشهر بن حوشب: "أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا"، قالوا: وكذلك في مصحف أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وخرّجت هذه القراءة على زيادة (لا)²².

ذهب أبو الفتح إلى أن قراءة الجمهور تعني أن الطواف بين الصفا والمروة مشروع ومطلوب تقرباً إلى الله؛ لأنه من شعائر الحج والعمرة. ولو لم يكن من الشعائر، لكان الطواف بهما بدعة، كمن يطوف بأماكن غير مقدسة مثل البصرة أو الكوفة بنية العبادة، وهذا مرفوض²³. وأما القراءة الشاذة فيها احتمالان:

أحدهما: أن تكون (لا) على هذه القراءة زائدة كهي في قوله: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف: 12]، وحينئذ يتحد معنى القراءتين، حتى كأنه قال: فلا جناح عليه أن يطَّوَّفَ بهما. والثاني: أن تجعل الطواف بينهما يرخص في تركه، كما قال ابن جني معقبا على قراءة ابن مسعود: وأما قراءة من قرأ: "فلا جناح عليه أَلَّا يَطَّوَّفَ بهما" فظاهره أنه مفسوح له في ترك ذلك، كما قد يفسح للإنسان في بعض المنصوص عليه المأمور به؛ تخفيفاً، كالقصر بالسفر، وترك الصوم، ونحو ذلك من الرخص المسموح فيها²⁴. ومن خلال تحليل دلالة هذه القراءة، يتبين للباحثة أن هذه القراءة الشاذة تبرز احتمالاً دلاليّاً في فهم الآية، مما يؤكد دور القراءات الشاذة في توسيع آفاق التفسير والكشف عن الأبعاد الدلالية للنص القرآني دون معارضة قراءة الجمهور.

المطلب الثاني: اختلاف الحركات الإعرابية وأثره في المعنى

وتظهر ظاهرة اختلاف الحركات الإعرابية في الأسماء في بعض القراءات القرآنية، ومن أمثلتها ما يأتي:

²² أبو حيان، البحر المحيط، 66/2، الزمخشري، الكشاف، 208/1، ابن جني، المحتسب، 202/1، ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص 18، عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 219/1.

²³ ابن جني، المحتسب، 203/1.

²⁴ ابن جني، المحتسب، 203/1، أبو حيان، البحر المحيط، 66/2، السمين الحلبي، الدر المصون، 190/2، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، المحقق أحمد يوسف النجاشي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى، 95/1.

❖ سورة المائدة

1. { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة: 32]

قرأ الجمهور: "أو فساد" بالجر، بينما قرأ الحسن: "أو فساداً" بالنصب، وذلك على تقدير فعل محذوف يدل عليه أول الكلام، تقديره: أو أحدث فساداً في الأرض، أو بالنصب على المصدر، والتقدير: أو أفسد فساداً بمعنى إفساداً، وقال ابن خالويه: كأنه عطف مصدراً على مصدر: من قتل نفساً ظلماً أو فساداً²⁵. ومن خلال ما سبق، ترى الباحثة أن اختلاف الحركة الإعرابية في هذه القراءة الشاذة أبرز معنى الإفساد بوصفه فعلاً مستقلاً، بعد أن كان في قراءة الجمهور متعلقاً بالجار مما وسع الدلالة دون أن يغير المقصود العام للآية، وأكد أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى.

❖ سورة التوبة

2. { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 40]

قرأ الجمهور: "وكلمة الله" بالرفع، بينما قرأ الحسن ويعقوب الحضرمي بخلاف عنه والمطوعي وابن عباس وأبو مجلز والأعمش وعكرمة وقتادة والضحاك: "وكلمة الله" بالنصب عطفاً على مفعول "جعل"، وهو: "كلمة الَّذِينَ كَفَرُوا"، ولا يستحب الفراء النصب، وضَعَفَهَا أبو حاتم. وعن أنس رضي الله عنه قال: رأيت في مصحف أبي: وَجَعَلَ كَلِمَتَهُ هِيَ الْعُلْيَا، بالضمير العائد على لفظ الجلالة. وهذه القراءة ناسبت الوصف بالعزة الدالة على القهر والغلبة، والحكمة الدالة على ما يصنع من أنبيائه وأوليائه²⁶. ويظهر للباحثة أن اختلاف الحركة الإعرابية في هذه القراءة الشاذة أبرز وجهاً آخر في توجيه المعنى، إذ جعل "كلمة الله" معطوفة على مفعول

²⁵ ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص 38، ابن جني، المحتسب، 317/1، الشوكاني اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، الناشر دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - 1414 هـ، 39/2، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 434/1، العكبري، إعراب القراءات الشواذ، 437/1، عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 264/2.

²⁶ أبو حيان، البحر المحيط، 422/5، الزمخشري، الكشاف، 272/2، ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص 57، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 36/3، عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 390، 389/3.

"جعل" دون أن يغيّر دلالة علو كلمة الله وثبوتها، مما يؤكد أن اختلاف الإعراب قد يثري الدلالة مع بقاء المعنى العام محفوظاً.

المطلب الثالث: التقديم والتأخير وأثره في المعنى

التقديم والتأخير في القراءات القرآنية من أبرز الظواهر التي يتميز بها هذا الكتاب الكريم، ومن أمثلته ما يأتي:

❖ سورة البقرة

1. { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } [البقرة: 106]

قرأ الجمهور: "نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا" بينما قرأ الأعمش وابن مسعود: "نَحْيِيءُ مِثْلَهَا أَوْ خَيْرٍ مِنْهَا"، بفعل "نَحْيِيءُ" عوضاً عن "نَأْتِ"، وبتقديم "مثلها" وتأخير "خير منها"²⁷. فالمعنى على قراءة الجمهور كما قال السُّدِّي: نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا، أو مثل الذي نسخته، أو مثل الذي تركناه²⁸. فجاءت قراءة الأعمش وابن مسعود وفقت ظاهرة من ظواهر ثراء اللغة أي التقديم والتأخير، قد يكون وراء هذه الظاهرة غرض أو سر أو لطيفة معنوية، قال سيبويه: كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يهتمانهم ويعنيانهم²⁹. ففي قراءة الجمهور نجد انتقالاً من الخيرية والتي تحمل صفة التفضيل إلى المثلية التي تحمل دلالة التساوي، والتماثل بين الآية النسخة والمنسوخة، أما في قراءة الأعمش وابن مسعود نجد تدرجاً من المثلية التي تفيد تساوي إلى الخيرية التي هي ارتقاء وتفاضل.

²⁷ أبو حيان، البحر المحيط، 550/1، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ، 193/1، الفراء، معاني القرآن، 64/1.

²⁸ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كنير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، 378/1.

²⁹ سيبويه، الكتاب، 34/1.

ذكر السيوطي في الإتيان أنّ من أسباب التقديم: الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، كقوله: {أَهْمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا} [الأعراف: 195]، فبدأ الآية بالأدنى لغرض الترقّي؛ لأن اليد أشرف من الرجل، والعين أشرف من اليد، والسمع أشرف من البصر.³⁰

فكأننا نجد في قراءة الجمهور: "تَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا" تدلياً من الأعلى إلى الأدنى، حينما في القراءة الشاذة: "نَحْيٍ يَمْثِلُهَا أَوْ خَيْرٍ مِنْهَا" نجد ترقياً من الأدنى إلى الأعلى. فالخيرية أعم من أن تكون في النفع فقط أو في الثواب فقط أو في كليهما، والمثلية خاصة بالثواب على ما أشار إليه بعض المحققين.³¹

2. { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ }

[البقرة: 204]

قرأ الجمهور: "وَيُشْهَدُ اللَّهُ" بضم الياء ونصب الجلالة، ومعناه: أنه يظهر للناس الإسلام ويحلف بالله ويجعل الله شاهداً أنه صادق وقائل حقاً وأنه محب في الرسول والإسلام، وبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق.³² وقرأ ابن عباس: "واللهُ يَشْهَدُ على ما في قلبه" حيث قدم اسم الجلالة وآخر الفعل وأضمر الفاعل.³³

والملاحظ أننا مع قراءة الجمهور نجد أنها تأتي بكونها جملة فعلية، أما في القراءة الشاذة تأتي بكونها جملة اسمية، فلفظ الجلالة على قراءة الجمهور كان مفعولاً به، وأصبح في القراءة الشاذة مبتدأ، فالفاعل في قراءة الجمهور هو الضمير العائد على المنافق، وأما في القراءة الشاذة فهو الضمير العائد على اسم الجلالة، فشتان ما بين الإسنادين؛ بين إسناد الفعل للمنافق وإسناده للخالق.

كما أن الفعل المضارع على القراءة الشاذة اختص بوظيفته وهي كونه خبراً، والتقدير: والله شاهدٌ. والمعنى على هذه القراءة: أن الله يعلم ما في قلبه حقيقة، وأنه خلاف قوله، وأن ما أضمر من النفاق خلاف ما

³⁰ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 46/3.

³¹ الألوسي، روح المعاني، 352/1.

³² أبو حيان، البحر المحيط، 326/2، تفسير ابن كثير، 563/1.

³³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 15/3، الشوكاني، فتح القدير، 239/1، الألوسي، روح المعاني، 490/1.

أظهر من الإيمان ومحبة الله والدين والرسول، فهو منافق كاذب³⁴. وإذا جئنا إلى معنى القراءتين، نجد أن قراءة الجمهور أبلغ بالذنب وأدل عليه، فهي تدل على كونه مرثيا وعلى أنه يشهد الله باطلا على نفاقه وريائه، أما القراءة الشاذة فلا تدل إلا على كونه كاذبا³⁵.

المبحث الثالث: الظواهر الصرفية في القراءات الشاذة في كتب التفسير توجيهها وأثرها في المعنى

المطلب الأول: الاختلافات الاشتقاقية

وتعدّ الاختلافات الاشتقاقية من الظواهر الصرفية التي تسهم في تنوع الدلالة، ومن أمثلتها ما يأتي:

❖ سورة البقرة

1. {أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: 187]

قرأ الجمهور: "الرَّفَثُ"، اسم المصدر من الفعل: رَفَثَ - يَرْفُثُ، وجاءت على وزن "فَعَلَ": رَفَثَ. والرفث كناية عن الجماع، لأن الله تعالى كريم يكني، قاله ابن عباس والسدي... وقال أبو إسحاق: الرفث كل ما يأتيه الرجل مع المرأة من قبل ولمس وجماع³⁶. وذكر أبو حيان أن الرفث هو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه، كلفظ: النيك³⁷.

وقرأ عبد الله بن مسعود: "الرُّفُوثُ" على صيغة اسم جنس جمعي أو مصدر غير قياسي من نفس الجذر الثلاثي: رَفَثَ، وجاءت على وزن "فُعُول": رُفُوث³⁸، وقال السمين الحلبي: وهو مصدر بمعنى الرفث³⁹. "فُعُول"

³⁴ تفسير ابن عطية، 1/279، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر، 4/230.

³⁵ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ، 5/344.

³⁶ تفسير ابن عطية، 1/257، 256.

³⁷ أبو حيان، البحر الحيط، 2/211.

³⁸ الزمخشري، الكشاف، 1/230، تفسير الرازي، 5/269.

³⁹ السمين الحلبي، الدر المصون، 2/327.

صيغة تستعمل أحيانا للدلالة على الكثرة أو المبالغة، مثل: صُدُوع، فُجُور، فيكون "الرُّفُوث" أكثر تهجينا وتقبيحا. ومن خلال تحليل هذه القراءة، يتبين للباحثة أن الاختلاف الاشتقاقي أسهم في تقوية الدلالة، إذ جاءت صيغة "الرُّفُوث" على وزن "فُعُول" الدال على المبالغة والكثرة، مما يزيد من تقبيح هذا الفعل والتنفير منه، دون أن يغيّر المقصود العام للآية.

2. {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]

قرأ الجمهور: "الْقَيُّومُ" على وزن فَيْعُول، وأصله: قَيُّووم، اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء⁴⁰، قال الزمخشري: والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه⁴¹. وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن مسعود وابن عمر وعلقمة والنخعي والأعمش والمطوعي: "الْقَيَّامُ" على وزن فَيْعَال، قال ابن جني: أما "الْقَيَّامُ" فـ"فَيْعَالٌ" من قَامَ يَقُومُ؛ لأن الله تعالى هو القيم على كل نفس، ومثله من الصفة على فِيعَال: الغيداق والبيطار. وأصله: الْقَيَّوَامُ، فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء فصارت الْقَيَّامُ⁴².

وقرأ علقمة أيضا: "الْقَيِّمُ" على وزن فَيْعِل من قام يقوم بأمره، كما تقول: ديور وديار. ولا خلاف بين أهل اللغة أن: القيوم، أعرف عند العرب وأصح بناء، وأثبت علة⁴³. وبالنظر في دلالة هذه الصيغ المختلفة، يظهر للباحثة أن الاختلاف الاشتقاقي في هذه القراءة الشاذة أبرز جوانب متعددة من معنى القيام، فصيغة "الْقَيَّامُ" و"الْقَيِّمُ" تؤكدان معنى المبالغة والثبوت في تدبير الخلق ورعايتهم دون أن تغيّر المقصود العام الذي تدل عليه قراءة الجمهور، مما يؤكد أثر الاختلاف الاشتقاقي في إثراء الدلالة وتنوع التعبير.

المطلب الثاني: الاختلاف في الأسماء (افرادا وتنشئة وجمعا وتذكيرا وتأنثا)

⁴⁰ أبو حيان، البحر المحيط، 2/ 608.

⁴¹ الزمخشري، الكشاف، 1/ 300.

⁴² ابن جني، المحتسب، 1/ 246.

⁴³ الشوكاني، فتح القدير، 1/ 311، ابن جني، المحتسب، 1/ 247، السمين الحلبي، الدر المصون، 2/ 540، تفسير القرطبي، 4/ 1، الفراء، معاني القرآن، 3/ 190، تفسير ابن عطية، 1/ 397.

وتتنوع صور الاختلاف في الأسماء في القراءات الشاذة من حيث الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث مما يؤدي دوراً في توجيه الدلالة وإبراز ثراء الأسلوب القرآني، ومن أمثلتها ما يأتي:

❖ سورة الأنعام

1. { يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ } [الأنعام: 130]

قرأ الجمهور: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ" بالياء على التذكير "الرسل" بينما قرأ الحسن وقتادة والأعرج: "أَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلٌ" بالتاء على تأنيث الجماعة، ولفظ "الرسل" جمع وقد تقدم عليه فعله، وذلك جاز تذكير الفعل وتأنيثه، وقد يكون التذكير على معنى: "جمع الرسل"، أما التأنيث فعلى المعنى: "جماعة الرسل"⁴⁴. ويظهر للباحثة أن اختلاف التذكير والتأنيث في هذه القراءة الشاذة يعكس تنوع التوجيه الدلالي، إذ جاء التذكير في قراءة الجمهور باعتبار لفظ "رسل" جمعاً، بينما جاء التأنيث باعتبار معناها الدال على جماعة الرسل، مما يبرز مرونة الأسلوب العربي واتساع دلالاته دون اختلاف في أصل المعنى

❖ سورة يونس

2. { فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ } [يونس: 94]

قرأ الجمهور: "يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ" بينما قرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي: "يَقْرَأُونَ الْكُتُبَ" بصيغة الجمع بدلا من الأفراد⁴⁵. فالكتاب في القراءة المتواترة يراد به الجنس، أي الكتاب السماوي وهو التوراة والإنجيل، أما الكتب في القراءة الشاذة فرما للتنوع والتعدد بين ما أنزل على بني إسرائيل من كتب سماوية مختلفة. فمعنى هذه الآية كما قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما اخترناك فأنزلنا إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا، ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل⁴⁶. ومن خلال النظر في هذه القراءة، يظهر للباحثة أن الاختلاف في أفراد الاسم وجمعه في هذه القراءة الشاذة أسهم في توسيع

⁴⁴ أبو حيان، البحر الحيط، 4/648، تفسير ابن عطية، 6/95، النحاس، إعراب القرآن، 2/32، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 2/78.

⁴⁵ أبو حيان، البحر الحيط، 6/106، الزمخشري، الكشاف، 2/371، ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص63.

⁴⁶ تفسير الطبري، 15/200.

الدلالة، إذ أفادت قراءة "الكُتُب" معنى التعدد والتنوع في الكتب السماوية، بينما دلّت قراءة الجمهور "الكتاب" على الجنس الشامل لها، مما يبرز ثراء التعبير القرآني وتنوع أساليبه مع بقاء المعنى العام للآية محفوظاً.

المطلب الثالث: الاختلاف في بنية الكلمة بالنقص أو الزيادة

ويعدّ الاختلاف في بنية الكلمة من حيث الزيادة أو النقص في القراءات الشاذة مظهرًا من مظاهر التنوع اللغوي الذي يؤثر في توجيه المعنى ويكشف عن دقة التعبير القرآني، ومن أمثلته ما يأتي:

❖ سورة البقرة

1. {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: 102]

قرأ الجمهور: "بِضَارِّينَ" بإثبات النون، وقرأ الأعمش: "بِضَارِّي" بحذف النون، وخرج ذلك على وجهين: أحدهما: أنه أسقط النون تخفيفاً، وإن كان اسم الفاعل ليس صلة لأل⁴⁷. والثاني: أن النون حذفت للإضافة إلى "أحد"، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور وهو "به"، واختار ذلك الزمخشري، وفيه أن جعل الجار جزء من المجرور، أي اعتبر "من أحد" كأتهما شيء واحد يدخل في الإضافة⁴⁸.

وبالنظر في هذه الظاهرة الصرفية، يظهر للباحثة أن الاختلاف في بنية الكلمة بالحذف في هذه القراءة الشاذة لم يؤدّ إلى تغيير المعنى الأصلي، وإنما جاء على وجه من وجوه التخفيف أو الإضافة، مما يبرز مرونة البناء الصرفي في العربية وأثره في تنوع التعبير القرآني.

❖ سورة يس

2. {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} [يس: 14]

قرأ الجمهور: "بِثَالِثٍ" بينما قرأ عبد الله بن مسعود: "بِالثالثِ" بألف ولام. لو نظرنا إلى قراءة الجمهور نجد أنها جاءت بالنكرة، مما يدل على عدم تعيين الشخص والتركيز على عدد الرسل المبعوثين دون ذكر أسمائهم، أما قراءة ابن مسعود فجاءت: "بِالثالثِ" بالمعروف ب"ال"، وهو ما يشير إلى شخصية محددة معروفة، وقد فسرها

⁴⁷ السمين الحلبي، الدر المصون، 42، 41/2، الألوسي، روح المعاني، 1/ 343.

⁴⁸ الزمخشري، الكشاف، 1/ 173، ابن جني، المحتسب، 1/ 187، تفسير ابن عطية، 1/ 188.

ابن عباس بأن المقصود بـ"الثالث" هو شمعون الصفا، أحد الحواريين من أتباع عيسى عليه السلام، والذي يروى أنه أرسل مع غيره إلى أنطاكية لدعوة أهلها إلى التوحيد⁴⁹.

ومن خلال النظر في هذه القراءة، يتبين للباحثة أن الاختلاف في بنية الكلمة بزيادة "ال" التعريفية أسهم في توجيه الدلالة، إذ أفادت قراءة الجمهور العموم وعدم تعيين الثالث، بينما أفادت القراءة الشاذة التعيين والإشارة إلى شخص معروف، مما يبرز أثر الزيادة في بنية الكلمة في إثراء المعنى وتنوع أساليب التعبير القرآني.

الخلاصة

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، من أبرزها ما يأتي:

1. كشفت الدراسة أن التوجيه النحوي والصرفي يمثل الأساس في تفسير القراءات الشاذة وبيان وجوهها، وأن المفسرين اعتمدوا على أصول النحو والصرف والاشتقاق في توجيه هذه القراءات بما ينسجم مع قواعد العربية.
2. أظهرت الدراسة أن الظواهر النحوية، ولا سيما الاختلاف في التركيب بالحذف أو الزيادة، واختلاف الحركات الإعرابية، والتقديم والتأخير، تؤدي وظائف دلالية متعددة، منها تأكيد المعنى، وتفسيره، وإبرازه، مما يسهم في توسيع آفاق التفسير وإثراء الدلالة القرآنية.
3. وبيّنت الدراسة أن اختلاف الأبنية والاشتقاقات في القراءات الشاذة، والاختلاف في الأسماء من حيث الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، والاختلاف في بنية الكلمة بالنقص أو الزيادة، لا يمثل مجرد تنوع في الصيغ اللغوية، بل يؤدي إلى فروق دلالية دقيقة تثري المعنى التفسيري، مع المحافظة على وحدة الأصل اللغوي والمعنى العام للنص.
4. وأكدت الدراسة أن كتب التفسير، ولا سيما الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان، تمثل مصدرًا أصيلاً في توجيه القراءات الشاذة، لما اشتملت عليه من تحليلات لغوية دقيقة أسهمت في إبراز الأبعاد النحوية والصرفية والدلالية لهذه القراءات.

⁴⁹ أبو حيان، البحر المحيط، 53/9، السمين الحلبي، الدر المصون، 251/9، تفسير ابن عطية، 449/4، الألوسي، روح المعاني، 393/11، ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص 125، الفراء، معاني القرآن، 2/373.

ومن أبرز التوصيات التي انتهت إليها الدراسة:

1. توصي هذه الدراسة الطلبة والباحثين بالاهتمام بدراسة القراءات القرآنية، وبيان توجيه معانيها في كتب التفسير ولا سيما في كتابي الكشف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان وغيرهما من كتب التفسير.
2. توصي كذلك الدراسة الباحثين بالتركيز بشكل أكبر على تحليل الفروق النحوية والصرفية في القراءات القرآنية، وبيان أثرها في استنباط الأحكام الفقهية، نظرا لحاجة المجتمع المعاصر إلى فهم أعمق وأكثر دقة في هذا المجال.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، الطبعة الأولى، 1997 م، القاهرة، مكتبة الأدب.
3. أحمد مختار عبد الحميد عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
4. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق علي عبد الباري عطية، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
5. تمام حسان، الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة، القاهرة، عالم الكتب، 1420 هـ - 2000 م.
6. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، المحقق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
7. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المحقق محمد عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
8. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، الناشر دار الفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ.
9. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، الناشر مكتبة المتنبي - القاهرة.

10. الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين، البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المحقق أنس مهرة، الناشر دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.
11. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
12. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مع الكتاب حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري، وتخرّيج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
13. ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001 م.
14. السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر دار القلم، دمشق.
15. الشوكاني اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، الناشر دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.
16. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د. عبد السند حسن يمامة، الناشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
17. عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، الناشر دار سعد الدين - القاهرة.
18. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، المحقق علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.
19. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
20. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

21. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، **معاني القرآن**، المحقق أحمد يوسف النجاشي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشليبي، الناشر دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى.
22. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، **تفسير القرطبي**، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
23. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، **كتاب السبعة في القراءات**، شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ.
24. المشهدي، محمد إسماعيل، **التجديد في توجيه القراءات القرآنية**، مجلة جامعة زاخو، كردستان العراق، المجلد الأول، العدد الثاني، 2013م.
25. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
26. المهدي، أبو العباس أحمد، **شرح الهداية**، تحقيق حازم سعيد حيدر، الرياض مكتبة الرشد، 1984م.
27. الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، **أحكام القرآن**، المحقق موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.

Acknowledgements

شكر وتقدير:

تتقدم الباحثة بالشكر إلى (كلية أصول الدين وعلوم القرآن واللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية (UniSHAMS))، لإعطاء بيئة مواتية لإجراء وبناء فكرة هذا المقال.

Conflict Of Interests

تعارض المصالح:

تعلن وتعترف الباحثة بعدم وجود تنافس في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها فيما تتعلق بكتابة هذا المقال.

Authors' Contributions

مساهمة الباحثة:

صممت هذه الدراسة (الظواهر النحوية والصرفية في القراءات الشاذة في تفسيري الكشاف والبحر المحيط: توجيهها وأثرها في المعنى) وجمعت بعض الدراسات السابقة لكتابة هذا المقال.